

# الباب الثالث

## اضواء جديدة يلقيها الباراسيكولوجي على اغوار النفس الانسانية

تمهيد وتوبيخ

لا ريب أن من أهم مآثر الباراسيكولوجي أنه فتح عدة نوافذ جديدة تماماً لسبر اغوار النفس الإنسانية مغايرة تماماً لنوافذ الماضي القريب . لأنها قد تحولت من النظر إلى الإنسان بوصفه محض كائن بيولوجي ، أي محض كائن متمتع بالحياة وبالحيوية ، إلى كائن روحي له خصائص وسمات أعمق بكثير من نظرة البيولوجيا التقليدية إلى هذا الكائن العجيب .

ونتيجة لهذه الأضواء الجديدة انهارت تماماً أهم دعائم « علم التحليل النفسي » القديم ، لكي تنهض محلها دعائم مدرسة جديدة في الكثير من جوانبها اسمها مدرسة « علم النفس التحليلي » . وهذا التحول الجذري هو موضوع الباب الحالي الذي سيرض له في أربعة فصول متتالية على النحو الآتي :

الفصل الأول :

في منهج فرويد بشأن الذات الإنسانية .

الفصل الثاني :

موقف فرويد من الباراسيكولوجي .

الفصل الثالث :

في مشكلة « الوجود السبقي » .

الفصل الرابع :

في موقف يونج من الباراسيكولوجي ، ومن الذات الإنسانية .

# لفصل الأول

في منهج فرويد بشأن الذات الإنسانية

## المبحث الأول

فضل فرويد

على علم النفس

لا ريب أن فرويد كان من أولئك العلماء الذين أفنوا حياتهم في حب البشرية ، وخدمتها ، ومحاولة تخفيف بعض آلامها التي لا تحصى . وقد عمل طويلاً في أرحب وادٍ فاضت فيه الآلام على بنى البشر ، وهو وادى المعاناة من الأمراض النفسية والعصبية التي تفترس الاطمئنان افتراساً ، والتي تعتبر العدو الأول لسعادة بنى البشر بما يتجاوز كثيراً افتراس الأمراض العضوية لها ، مهما بلغت خطورتها ، ومهما بلغ عجز العلم إزاءها ، ومهما بلغ مدى انتشارها .

ويكفى - في هذا الشأن - أن نضع في الاعتبار أن بعض هذه الأمراض العصبية والنفسية قد تكون هي المسئولة الأولى عن قيام الحروب الطاحنة ، والصراعات الدموية التي عانت البشرية منها منذ فجر تاريخها ، ولا تزال تعاني ، لكي ندرك خطورة دورها في تدمير سعادة بنى البشر واطمئنان نفوسهم .

ولا ينبغي أبداً أن ننسى أن هذه الأمراض التي قد تؤدي إلى السلوك الإجرامى بكل صوره قد تؤدي بنفس المقدار - وربما بمقدار أوسع بكثير - إلى العديد من صور الحماقة والتصرف ، الكفيلة بتدمير الروابط الاجتماعية والفردية التي تحرص القوانين على تنظيمها على أسس واضحة من العدالة الحققة ومن الأخلاق الفاضلة .

وهذه الأمراض قد تكون في كثير من الأحيان وراء السلوك المضاد للمجتمع ، وهو ذلك السلوك الذي قد يعاقب عليه الشارع الجنائي ، ويتصور أن العقاب وحده كفيلاً بدرته وبالوقاية منه .

وهذه الأمراض ينتمى أغلبها إلى العقل الباطن ، أى إلى ذلك الشطر من الوعي الأهم والأعمق من غيره والمتخفى في أغوار الذات الإنسانية ، والذي يطلق عليه وصف « اللاشعور » بحيث يمكن القول بأن عقل الإنسان يشبه جبلا من الثلج يطفو عشره فقط في الشعور ويختفى تسعة أعشاره تحت الماء في اللاشعور !!

ولا شك أن فرويد هو أول من وجه الانتباه إلى ما للعاطفة من دور فعال في أفكارنا « فنحن نحب أولاً أو نكره ، ثم بعد ذلك نفكر في الشيء الذي نجه أو نكرهه . أو بتعبير آخر يعمل فكرنا على خلفية وجدانية من الحب أو الكراهية . وكأن تفكيرنا ووجداننا بمثابة لوحة : الجانب الخلفي منها هو الوجدان ، والصورة البارزة للرأى فيها هى الفكر . فالمشاهد للوحة لا يكاد يدرك إلا الصورة المرسومة عليها ، ويكاد يغضى عن الجانب الخلفي . . .

ويعتقد فرويد أن الإنسان في سلوكه لا يكاد بوجه انتباهه إلى الخلفية التى يبنى سلوكه عليها ، بل يركز جل انتباهه على صورة ذلك السلوك ، وإلى الجانب المعقول منه . ولعل الشخص ينكر وجود ذلك الجانب اللامعقول في سلوكه ولا يعترف إلا بالجانب المعقول منه فحسب .

فأدما في وعينا نكون مفكرين بالمنطق ، فإننا لا نعرف إلا بما يساير المنطق ويتمشى وينسجم معه . ولكن فرويد يعتقد أنه لا يكفى أن ننكر وجود الشيء فيصير غير موجود ، فإنكارنا للدور الذى تقوم به عواطفنا في صياغة تفكيرنا لا يكفى دليلاً على عدم فاعلية تلك العواطف في فكرنا ، بل قد يكون على عكس ذلك دليلاً قاطعاً على ما لذلك الدور من أهمية بالغة في حياتنا . . .

ولقد فسر فرويد التصرفات الإرادية الواعية في ضوء العوامل اللاإرادية غير الخاضعة للوعي وللتفكير . وصوّر الموقف بأنه في ضوء مبدأ اللذة والألم منذ بواكير

الطفولة تتحدد ملامح السلوك المقبلة<sup>(١)</sup> . فالإنسان يقبل نحو الأشياء الملمذة وينبو عن الأشياء المؤلمة . ثم إنه يقبل نحو الأشياء التي ارتبطت في الخبرات الماضية - القريبة والبعيدة - باللذة بينما ينبو عن الأشياء التي ارتبطت في خبراته الماضية - القريبة والبعيدة - بالألم . ويتخذ اللذة والألم صيغتين أخريين بديلتين هما الحب والكراهية . فاللذة تستحيل إلى حب ، والألم يستحيل إلى كراهية . . «<sup>(٢)</sup> .

### موقف فرويد من موضوع الجنس

اقتحم فرويد مشكلات الجنس في جرأة بالغة ، مع التغلغل إلى أعماق أبعادها في صراحة تامة ، وهذا يمثل إحدى المآثر التي سيذكرها تاريخ العلم له . فالغريزة الجنسية تجرى في الناس مجرى الدم الحار بكل انفعالاتها القوية ، الصاخبة والهادئة . والتصدي لها بكل ما يملكه العلم من وسائل ضرورة تفرض نفسها ، لأن علاج المشكلات لا يكون أبداً بالهرب منها ولا بتجاهل وجودها .

والآلام الناجمة عن انفعالات الجنس والعاطفة قد تكون - عند الكبت وعند الإشباع الخاطيء أيضاً - آلاماً مرة قاسية ، ومصدراً دفيناً في اللاشعور لأعراض نفسية وعصبية أليمة ، من المحال علاجها بتجاهلها أو بالإغضاء عنها . ولا يوجد أمل في إنقاذ صاحبها منها إلا إذا نجح المحلل النفساني في أن يطفو بها من اللاشعور إلى الشعور ، فتراجع تدريجياً عن طريق استخدام الاستدلال الواعي كما يتراجع ظلام الليل عند طلوع النهار .

وكل مشكلات الجنس مرتبط بالقيم السائدة ، وبالتقاليد المستقرة ، وبالعقائد الراسخة . وقد تكون المشكلات نابعة من استفحال أثر هذه القيم والتقاليد ذاتها بسبب ما قد يكتنفها من أخطاء ، أو من مغالطات ، أو من رياء اجتماعي واضح يتحيز دائماً

---

(١) يبدو أن في هذا القول تبسيطاً أكثر مما ينبغي للملامح السلوك في الإنسان ، ولا يميل علماء الباراسيكولوجي للمرة إلى هذا الرأي ، بل يرون أن ملامح السلوك في الإنسان موروثه من تطور الذات في ماضيها العريق الذي يمتد إلى أبعد بكثير من بواكير الطفولة . ولنا عودة إلى هذه النقطة فيما بعد .

(٢) من يوسف ميخائيل أسعد في مؤلفه « قوة الإرادة » ١٩٧٦ ص ٢٠ - ٣٠ .

لمصلحة الرجل على حساب المرأة . فينجم عن ذلك كله خلط سائد بين الشهوة والعاطفة والرذيلة والفضيلة ، وبالتالي تخط في جل أحكام المجتمع على السلوك الجنسي والعاطفي للمرأة أو للرجل ، ومع مراعاة تفاوت المجتمعات تفاوتاً ضخماً فيما يتعلق بالقيم السائدة فيها بشأن السلوك الجنسي ، خصوصاً بالنسبة للإناث .

ولا ريب أن فرويد قد أزاح الستار - بمهارة بالغة - عن العديد من ضروب التقاليد الجائرة ، وصيغ الرياء الاجتماعي البالية التي تحمل دائماً أوصافاً خلافة كفيفة بتدمير مقومات الصحة النفسية للملايين من بني البشر بلا سبب واضح .

« وكبت انفعالات الغريزة الجنسية بحكم التقاليد القومية ، والتعاليم الراسخة ، والآداب العامة جعلها تؤلف أخطر مجموعة من المركبات النفسية المكبوتة في اللاشعور . وبذلك صار لها أبلغ الأثر في حياتنا العقلية ، وفي تكييف الكثير من نزعاتنا وميولنا ، والسيطرة على أعمالنا الشعورية وتوجيهها على الرغم منا في اتجاهات معينة تقوم بها مسوقين بدوافع قهرية خفية لا سبيل لنا إلى كشفها أو الوقوف على حقيقتها إلا عن طريق التحليل النفسي ، بسبب ما أقم بيننا وبينها من حواجز منيعة من قوة الكبت والمقاومة الباطنية .

• • •

ولعل هذا ما حدا بالعلامة سيجوند فرويد وطائفة من أتباعه وأعوانه إلى المغالاة في تقدير ما للغريزة الجنسية وما يصحبها من قوى نفسية ، أو شهوة غريزية مكبوتة من سلطان على حياتنا العقلية إلى حد نسبة معظم الظواهر العصبية والأمراض النفسية ، بل وأعظم طائفة من أعمالنا الطبيعية إلى نشاط الغريزة الجنسية المكبوت ، وتفسيرها بكونها مظهرًا مقنعًا من مظاهر هذه الغريزة ، ووسيلة للإفصاح عما نضمه من نزعات أو رغبات مكبوتة في أعماق النفس .

فدراسة الطبيعة البشرية من الناحية الجنسية ، والوقوف على نزعات النفس وميولها الحقيقية يتطلب منا الالتجاء إلى وسائل التحليل النفسي وأساليبه المعروفة للوصول إلى جوف اللاشعور ، وهتك ما أسدل على طبيعة النفس من أستار ، وكشف ما يحيط بها من مخبآت وأسرار ، وتجريد النفس من ثوبها المزيف وردائها المستعار ، وفحص

طبيعتها على أشعة ضوء العلم الصحيح . . . ونعهد بذلك سبيل التوفيق بين النظريات الحديثة لرجال التحليل النفسى وبين عقولنا ، ونعدها لتعديل ما عساه يبدو لنا فيها من شذوذ أو غرابة بشيء من الحلم وسعة الصدر» (١) .

فالإنسان في ظروفه العادية بمقدوره أن يشبع منذ الصغر - وعلى نحو أو آخر - انفعالات جل غرائزه بدون ارتطام يذكر بصخرة التقاليد والمفاهيم السائدة . ومنها انفعالات البحث عن الطعام ، وحب الاقتناء ، والدفاع عن النفس ، والإحساس بالمجهول ، وأخطرها كلها (بحسب أدلر) حب الحركة لتحقيق الذات .

أما عندما ينمو ، ويصبح إشباع انفعالات غريزة الجنس حاجة ملحة طبيعية ، فهو يجد نفسه في مواجهة عاتية مع المفاهيم الراسخة والتقاليد الاجتماعية السائدة ، بالإضافة إلى ظروفه الخاصة التي كثيراً ما تكون بالغة التعقيد سواء من النواحي الصحية ، أم الاجتماعية ، أم الاقتصادية .

وذلك بالإضافة إلى أوضاع متنوعة عديدة يبدو أنها قد استقرت نهائياً بوصفها معصومة وأزلية خصوصاً بالنسبة إلى موقف الإناث بالمقارنة بالذكر من نواحي الجنس والزواج ، والإذعان أو الاستقلال ، والوثام أو الانفصال ، والسفور أو الحجاب ، والإقامة أو الاغتراب ، والاختلاط أو الاعتزال . . .

لذا كانت الأمراض النفسية والعصبية وبخاصة الهستيريا ، والقلق ، والصرع ، والانفصام . . . عند الإناث أوسع انتشاراً بكثير منها عند الذكور ، وفي نفس الوقت أكثر حدة ، وأعصى على العلاج ، وفي نفس الوقت أفدح ضرراً بالنظر للدور الهام الذى تقوم به في العلاقات العائلية .

ويرى فرويد أنه في كل حالة عصبية يمكن كشف العامل الجنسى بلا استثناء « ففى الأمراض العصبية الفعلية يكون هذا العامل عادة جثمانياً ، أعنى متعلقاً بالإجراءات الخاصة بالعملية الجنسية وكيفية ممارستها أو كظمها بقسوة ، بينما فى الأمراض العصبية

(١) من محمد فتحي « علم النفس الجنائى علماً وعملاً » . الجزء الأول ص ١١٧ ، ١١٨ .

النفسية يكون المرض متعلقاً بذكريات جنسية مكبوتة في النفس ترجع إلى عهد قديم ،  
أى أنها خواطر فكرية أو أعراض نفسية بحت .

وقد دلت التجربة الفنية على أن مجموعة الاضطرابات العصبية التي من قبيل  
الهستيريا والظواهر التسلطية ترجع إلى عامل نفسى مكبوت في جوف اللاشعور .  
ولذلك كانت هذه الاضطرابات ذات صبغة نفسية Psychogenic وأنها باضطراب  
دائم قائمة على مركبات لا شعورية مشتملة على عناصر جنسية دفينية في قرارة النفس .

فنشوء مثل هذه المركبات أو تكوينها يرجع إلى الرغبات الجنسية على اختلاف  
مظاهرها وبأوسع معانيها ، التي تعذر تحقيقها في الحياة العملية فكبتت في جوف  
اللاشعور ، ثم انقلبت فيما بعد إلى ظواهر نفسية مرضية ، وهذه الظواهر في عرف  
فرويد تمثل نوعاً من الرضوية المستعارة .

ولن يغيب عن الأذهان أنه مع وضوح الفرق بين الأمراض العصبية الفعلية ،  
والأمراض النفسية فإنه كثيراً ما يتفق اجتماع أعراض القسمين وامتزاجهما معاً ،  
حيث تشاهد أعراض القلق العصبي ممتزجة بأعراض الهستيريا ، فينشأ عن ذلك أحياناً  
القلق الهستيرى Anxiety Hysteria . كما يشاهد كثيراً اجتماع أعراض التوراستانيا  
والقلق العصبي وامتزاجهما معاً . ففي مثل هذه الحالات يشاهد اجتماع كل من المرضين  
واشتراكهما في إحداث مجموعة الأعراض الممتزجة (١) .

وهكذا تبين لفرويد أن للرغبات الجنسية وثيق صلة بالمتاعب النفسية ، خصوصاً  
عند انزلاق الأحاسيس بالذنب من الشعور إلى اللاشعور . وبالتالي تزايد أضرارها ،  
وجنابتها على مقومات الصحة النفسية ، جنابة قد تصل إلى حد المرض النفسى  
أو العصائى الذى لا براء منه إلا بالوصول إلى أسبابه الصحيحة في أناة ، وعلاجها في  
حكمة ورفق .

وقد تصيب هذه الأمراض العويصة أرق الناس شعوراً ، وأكثرهم ارتقاء في

(١) عن محمد فتحى المرجع السابق الجزء الأول ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الحاسة الخلقية ، لكنهم في نفس الوقت أوفرهم رغبة في الخضوع لسلطان القيم والتقاليد السائدة ، مهما كانت موعلة في الجور والقسوة ، أو في المغالطة والرياء .

ولا ريب أن فرويد حاول تصحيح العديد من المفاهيم الاجتماعية البالية ، وتعديل مسارها عن طريق البحث المتحرر في نواميس الحياة التي يستحيل تماماً مقاومتها عن طريق المكابرة فيها، وانتهى إلى تغليب دور الوظائف البيولوجية على دور القيم والتقاليد البالية ، مهما كان مدى رسوخها في الأفهام والمشاعر .

## المبحث الثاني

### عن منهج فرويد في التحليل النفسي

نتيجة لابتداع منهج التحليل النفسي نجح فرويد في فتح منافذ جديدة للبحث في أغوار النفس الإنسانية لم تكن معروفة من قبل . وهي في جملتها تعتمد على أسلوب تشريح النفس الإنسانية ، فكما أن تشريح الجسم هو وحده الذي أتاح للطب أن يستكشف بعض أسرار هذا الجسم ، فكذلك تشريح النفس هو الذي أتاح لعلم النفس أن يوجد وأن يستكشف بعض أسرار النفس .

ولا ريب أنه يرجع إلى هذه المدرسة الهامة فضل استكناه بعض أسرار اللاشعور واستكشاف دوره الخطير في توجيه العديد من نواحي السلوك الإنساني . صحيح أن العقل الباطن أو اللاشعور نفسه تعبير قديم ، وتحدث عنه عدد من المؤلفين السابقين لفرويد ، ولكن هذا الأخير هو الذي أبرز - بأصالة فريدة في نوعها - مدى ضخامة الدور الذي يلعبه هذا اللاشعور في سلوك الانسان ، وبالتالي في العديد من عناصر سعادته أو شقائه .

كما يرجع إلى هذه المدرسة استكشاف دور العقد والمركبات النفسية ، وصلتها بظروف الإنسان والاختبارات الأليمة التي مرت به منذ ولادته ، أيأ كان نوعها ، وهي تعتبر الآن حقائق علمية ثابتة .

ويرجع إليها الفضل أيضاً في العناية بدراسة الأحلام ، ومدى اتصالها الوثيق بالمرغبات المكبوتة ، ومدى قدرتها على الإفصاح عن المصدر الحقيقي للعديد من متاعب الإنسان ومصادر شقائه . وذلك بعد أن كان الرأي السائد من قبل أن الأحلام مجرد مواقف لا تكشف عن أى أمر ، ولا صلة لها بأى مرض ، ولا تخضع لأى ضابط .

ولا ريب أن فرويد نجح في تخفيف البعض من الأمراض العصبية ، والأمراض النفسية عن طريق التحليل النفسى ، والذي يعتبر هو رائده الأول ، لكنه لا يزال بحاجة إلى المزيد من التطور والارتقاء الذى قد يستغرق أمداً طويلاً نظراً للصعوبة المفرطة التى تحيط باستكشاف مصادر الأمراض العصبية والعقلية وبإيجاد علاج ناجح لها .

كما عرف فرويد أثر التنويم المغناطيسى فى استكشاف بعض مجاهل اللاشعور ، وفى علاج بعض حالات الهستيريا ، وقد اقتبسه فرويد من الطبيب جان م . شاركو Charcot مدير مصحة السالبتيرير Salpêtrière للأمراض العصبية بباريس . وشاركو هذا صاحب سمعة عالمية فى هذا الموضوع بالذات ، وعن هذا الطريق أدرك فرويد أهمية الإيحاء ، وسلم بدوره فى علاج بعض الأمراض العصبية ، خصوصاً منها تلك الهستيريا التى قد ترجع إلى الكبت الجنسى .

وفى نفس الوقت فإن التسليم بعمق دور الغريزة الجنسية فى توجيه نوازع السلوك الإنسانى - فى حالتى الصحة والمرض على السواء - ليس من شأنه أن ينفى دور باقى الغرائز التى تلعب دوراً عميقاً فى حياة كل إنسان بحسب تكوينه الفطرى وظروفه الخاصة . وبعض هذه الغرائز قد فات أمره على فرويد ، أو لم يعطه العناية المطلوبة مثل غريزة الإحساس بالمجهول التى أعطتها المدارس اللاحقة لفرويد بعض هذه العناية التى تستحقها .

وبسبب منهج فرويد فى التحليل تم الوصول إلى حقيقة كبرى هى أن الأمراض والعقد النفسية أوسع انتشاراً بكثير مما قد يتصور المرء لأول وهلة ، إلى حد أن أسلوب ( م ١٣ - آفاق جديدة )

التحليل النفسى يكاد لا يسلم بأن هناك إنساناً خالياً تماماً منها ، وكأن شأنها فى ذلك شأن الأمراض الوظيفية والعضوية التى يتعذر العثور على إنسان سليم منها تماماً .

ولذلك كثرت فئات الشواذ ، وأنصاف المجانين ، والخاضعين لدوافع قهرية ، والمرضى بأمراض نفسية متنوعة كثيرة تكاد تكون بلا ضوابط . فلم يعد الأمر كما كان فى الماضى مجرد موازنة بين عاقل ومجنون ، وبالتالى بين مسئول عن تصرفاته وغير مسئول . بل أصبحت الحدود بين الاثنين فضفاضة غامضة ، لأن الوضع المألوف عند المريض النفسى هو إصابة جانب واحد أو أكثر من الشعور أو الاشعور مع بقاء جوانبه الأخرى سليمة لا غبار عليها .

ولا ريب أن ظهور هذه الحقيقة الكبرى ضاعف من مسؤولية المشترعين ، والفقهاء والقضاة ، والخبراء فى تقصى كل حالة على حدة ودراستها عن قرب لتحديد مدى مسئولية صاحبها جنائياً ، وبالتالى نوع الإجراءات المناسبة له ومداه ، ناهيك بنوع التدبير الوقائى المناسب له . ولذا اتجهت الشرائع المتحضرة إلى وجهة العلاج بدلا من العقاب ، والإصلاح بدلا من الانتقام .

وهذا الاتجاه وإن كان قد ابتدأ فى الظهور منذ أيام المدرسة التقليدية الحديثة بعد الثورة الفرنسية بسنوات قليلة ، إلا أن مدرسة فرويد فى التحليل النفسى شجعت ، ودفعت به قدماً إلى الأمام — على أساس من الصواب — إلى أن بلغ الارتقاء مداه فى تلك الشرائع التى تأخذ بنظام الخبرة المفروضة .

ويكفى فرويد فضلاً فى منهجه أنه عرف أن الحب والكراهة وجهان لشيء واحد ، وأن التحول من أحدهما إلى الآخر أمر يقع كثيراً لا وهى الأسباب . كما عرف أن الأم قد تقتل طفلها لفرط ولعها به . وأن الكراهة المكبوتة كثيراً ما يجر إلى العديد من المتاعب النفسية فى اليقظة والنوم . وكذلك الفشل — على نحو أو آخر — فى تحقيق الذات أو إشباع غريزة حب العظمة .

وتوصل فرويد ببراعة أيضاً إلى اكتشاف عقدة أوديب Oedipus وهى ناجمة

عن عشق الابن لأمه مع كره الأب بسبب الغيرة . وعكسها عقدة الكترا Electra وهي  
ناجمة عن عشق البنت لأبيها مع كره الأم بسبب الغيرة. هذا ولو أن المناهضين لفرويد  
قد أثاروا حول هاتين العقديتين بالذات غباراً كثيفاً لم يحسمه العلم بعد .

\* \* \*

وبطبيعة الحال لاقى فرويد مقاومة شديدة من معاصريه في مبدأ الأمر قبل أن  
يتفهموا مذهبه في التحليل النفسى التفهم المطلوب ، ويتقبلوه كذهب له أسانيد  
الحقيقية عند بعض التغلغل في أغوار النفس البشرية . وكان موقفه منهم مثل موقف  
كل اصحاب كشف جليل من زملائه ومعاصريه ، فلا بد دائماً من المقاومة ومن  
الاعتراض الشديد . ولكنه نجح في النهاية في ترويض البيئات العلمية إلى مدى أو آخر ،  
كما نجح من قبله جاليليو ، ونيوتن ، وداروين ، وباستير . . في اكتساب الجولة  
بعد صراع عنيف استمر أمداً طويلاً .

وفي النهاية فلا نردد - الآن - في القول بأن فرويد قد طفر طفرة جليلة بعلم  
النفس ، لكن ينبغي النظر إليها دائماً بوصفها طفرة أولى لا تقل في قيمتها عن طفرة  
ياستير بالطب مثلاً عند اكتشافه الميكروبات . لكن يلزم أن تعقبها طفرات وطفرات  
حتى يمكن أن يقال إن علم النفس قد عوض بعض عناصر تخلفه الشديد عن سائر  
العلوم الأخرى ، وأنه أخذ في اللحاق بعلوم المادة والطاقة في تطورها السريع نحو  
الأمام .

وهذا ما أتوقعه من مدارس الباراسيكولوجى وما يتصل بها من مباحث  
متنوعة ، تدور كلها حول محاولة إخضاع الظواهر غير المألوفة لمتطلبات البحث العلمى  
بأساليب معملية ، أسوة بالظواهر المألوفة - خصوصاً المرضية - التى كانت وحدها  
تشد انتباه فرويد فى مستهل حياته العلمية . وهذا هو نفس المنهج الذى اتجه إليه فرويد  
الأقل منذ سنة ١٩٢١ على ما سوف يتضح من الفصل المقبل .

## الفصل الثاني

### موقف فرويد من الباراسيكولوجي

يؤخذ أحياناً على مدرسة فرويد الارتباط المغالى فيه ببعض جوانب الفلسفة التقليدية في النفس والوجود ، مع نأى هذه الفلسفة نأياً تاماً عن إمكان تفسير جانب كبير من ظواهر النفس الإنسانية . هذا وإن كان روبرت داونز Robert Downes يقول في كتابه « كتب غيرت العالم » إن فرويد قد انشغل في أواخر حياته بغريزة الموت حتى جعلها على نفس المستوى من الأهمية مثل غريزة الجنس . ويقول فرويد في شأنها إن ثمة غريزة للموت تدفع كل الكائنات الحية إلى العودة إلى الحالة غير العضوية التي جاءت منها<sup>(١)</sup> .

والعودة « إلى الحالة غير العضوية » أمر آخر غير الفناء عن طريق الموت ، هذا الفناء الذي كان يبدو له في مطلع حياته العلمية من الأمور الواضحة ، لأنه لم يكن قد اطلع بعد على تحقيقات علماء متعددين في موضوعات الظواهر غير المألوفة والتي كان علم النفس التقليدي يتجاهلها فيما مضى ، ثم تنبه إلى خطورة دورها ودلالاتها فيما بعد ، فتحول العلم إلى الاهتمام الشديد بها ، وإلى محاولة توسيع رقعة البحث فيها لاستخلاص العنصر أو العناصر المستقرة في كل طائفة من هذه الظواهر .

وذلك هو بالضبط ما عنيت به مدارس الباراسيكولوجي Para Psychology أو ما وراء الروح La Métapsychique التي أظهرت التكوين العقلي - الروحي للإنسان أعمق تركيباً وتعقيداً بمراحل كثيرة مما تصوره فرويد ، وألقت على هذا التكوين أضواء مفرطة في أهميتها وفي اتساع نطاقها ، بحيث لا يمكن أن يتجاهلها الآن أى بحث علمي جاد في دراسة أسرار هذا التكوين .

(١) راجع صلاح عدس « ملامح الفكر الأوروبي المعاصر » ١٩٧٦ ص ٧٧٠ .

وهذا ما اتجه إليه بالفعل عباقرة نفسيون كبار تداركوا ما لدى فرويد من قصور ونقص في بعض نواح يغلب عليها طابع الافتراض المتسرع ، وذلك بتأثير من ذبوع الفلسفة المادية التي كانت تسود في الأوساط العلمية إلى حين ظهور مدرسة فرويد ، بل حتى السنوات الأخيرة من حياته ، إلى أن حصل تطور بالغ الخطورة في هذا الشأن حتى في أشد الأوساط العلمية تزمناً في الخارج (١) .

### فرويد يطالب بالمزيد في هذا المجال

فلم يكن فرويد عدواً لمبدأ البحث العلمي في الظواهر غير المألوفة ، أو رافضاً للمبدأ في ذاته ، بل كان على العكس من ذلك مطالباً بالمزيد من التوسع في دراستها ، ومن ترتيب نتائجها الضرورية أية كانت هذه النتائج ، التي يبدو أنها لم تتضح له تماماً إلا في الحقبة الأخيرة من حياته ، أي قبيل وفاته في سنة ١٩٣٩ .

ومن ذلك أنه حرر إلى اجتماع « اللجنة المركزية للجمعية الدولية لتحليل النفسى » (٢) تقريراً يرجع إلى ٢ أغسطس سنة ١٩٢١ بهذا الشأن ، وما ورد فيه : « ليس من الممكن بعد الآن أن ندع جانباً دراسة الوقائع التي يطلق عليها الوقائع الغيبية *Occult facts* ( وهي تلك التي أصبحت فيما بعد موضوع الباراسيكولوجي ) أي تلك الأمور التي يبدو أنها تنبئ عن الوجود الحقيقي لطاقت روحية غير تلك المعروفة عن الروح الإنساني والحيواني ، أو تلك الطاقات التي تكشف عن ملكات عقلية لا تؤمن بوجودها حتى الآن ، فتلبية النداء إلى إجراء هذا النوع من التحقيق أمر لا يمكن مقاومته . . . » .

كما ورد في نفس هذا التقرير « ولا يمكن القول بأن من الواضح أن تقوية الاهتمام بدراسة الغيبيات يمثل خطراً على التحليل النفسى . بل على العكس من ذلك علينا أن

(١) للمزيد في ذلك راجع مؤلفاً « مفعّل الإنسان روح لا جسد » طبعة رابعة ١٩٧٥ - ١٩٧٦ الجزء الأول ص ٣١١ - ٣٤٤ ، ٣٦٤ - ٣٧٩ ، ٣٨٢ - ٣٨٨ ، ٤٦١ - ٤٦٦ ، ٦٦١ - ٧٠٤ ، ٨٤١ ، ٨٦٥ ، والجزء الثاني ص ٣١ - ٣٧ ، ٧١ - ١٢٤ ، والجزء الثالث ص ٥٦٩ - ٦٧٥ ، ٧١٨ - ٧٣٢ ، ٧٥٩ - ٧٨٢ ، ١١٠٠ - ١١٠٦ . وأيضاً راجع كتاب « الاتصال بين عالمين » تأليف ماثيو ماننج . الطبعة العربية بمعرفتنا سنة ١٩٨١ . المقدمة ص ٥ - ٢٤ ، ٤٢ - ٦٦ .

تشرع تعاطفاً متبادلاً بين الحقلين ، فكلاهما كانا محللاً لمعاملة ظالمة ومغرضة من « العلم الرسمي » . . والدعوات العديدة التي نتلقاها من الدارسين للغيبات Occultists تظهر أنهم يعتبروننا ننتمى إلى مجموعهم في جانب من أعمالنا بالأقل ، وأنهم يعولون على تأييدنا لهم لمواجهة تأثير نفوذ هذا « العلم الرسمي » . . . ولذا فإن قيام تحالف أو تعاون بين التحليل النفسى والباحثين في تلك الظواهر ، يبدو أمراً مرغوباً فيه ومفيداً . .

ثم يضيف قائلاً : « ومن الراجح أن دراسة الظواهر الغامضة ستؤدى إلى أن تتقبل وجود طائفة حقيقية من هذه الظواهر ، لكن يبدو أيضاً أنه ستمضى فترة طويلة من الوقت قبل أن يتمكن الإنسان من أن يصوغ نظرية مقبولة تدخل في الاعتبار صحة هذه الوقائع الجديدة .

والأشخاص المتلهفون بشوق لن ينتظروا بنفس الأسلوب الذى نواجه به أية مادة أخرى أعلى في هذا الشأن . فإن الدارسين الغيبات سيعلنون أنهم قد كسبوا دعواهم ، لأن الإيمان بصحة واقعة واحدة من الوقائع المدعاة ، سيحمل على محمل الإيمان بصحتها كلها . وسيتسع أفق الإيمان بصحة هذه الظواهر حتى يشمل أيضاً الإيمان بتلك التفسيرات لهذه الظواهر التي يؤثرونها على غيرها ، ويعتزون بها . . .

وأنه لأمل خائب أن يهرب التحليل النفسى من التدهور في القيم لمجرد أن موضوعها هو بكل بساطة اللاشعور الغامض . فإذا كانت الأرواح ، كما يألفها الإنسان تقدم التفسير النهائى ، فعند ذلك سيتضاءل الاهتمام ببذل الجهد الشاق للاقتراب من تحليل الطاقات الروحية المجهولة .

وفن التحليل النفسى لن يصبح مهجوراً حتى عندما يراودنا الأمل بأن الأقيسة الغيبية ستمكثنا من أن ندخل في اتصال مباشر مع أرواح تحدد لنا كل شئ . وسيكون موقفنا عند ذلك مثل موقف إنسان يهجر أسلوب العمل الصبور المدقق ، باحثاً عن اقتناء الثروات بضربة واحدة عن طريق المضاربات .

وخلال الحرب ( التي انتهت في سنة ١٩١٩ ) سمعنا عن أشخاص تحيروا في الوقوف بين دولتين عدويتين ، ينتمون إلى احدهما بالميلاد ، وإلى الأخرى بالإقامة ،

فكان من قدرهم أن عوملوا كأعداء مع إحدى الدولتين أولاً ، وعندما أسعدهم الحظ بالهرب منها ، عوملوا أيضاً كأعداء في الدولة الأخرى . ومصير التحليل النفسى يمكن أن يصبح مماثلاً لمصيرهم .

ومع ذلك فعلى كل إنسان أن يتحمل قدره ، أياً كان نوعه . وسيكون على التحليل النفسى أن يتجاوب أيضاً مع قدره ، ولكن دعونا نعود إلى الحاضر ، وإلى الجهد الذى ينبغى بذله فوراً . وفى خلال هذه الأعوام الأخيرة الماضية قت بعمل بعض ملحوظات لا أرغب فى أن أمنعها بالأقل عن أولئك الأشخاص القريبين منا . . . .

ولذا فإننا ننوى أن نواجه هذه الأمور بنفس الأسلوب الذى نواجه به أية مادة أخرى تكون موضوعاً للتحقيق العلمى . ويكون علينا - بادئ ذى بدء - أن نقرر ما إذا كانت هذه الأحداث تحدث فعلاً أم لا . وعندئذ ، بل عندئذ فقط عندما لا تكون هناك شبهة شك بشأن صحتها ، سنستقر على رأى حول تعليلها . ولكن ليس بمقدورنا أن نخفى على أنفسنا أننا حتى إذا ما خطونا الخطوة الأولى فى شأنها فسنجدنا محفوفة بالصعاب الناجمة عن عوامل عقلية ، ونفسية ، وتاريخية ، لا تماثل تلك الصعاب التى تقابلنا عندما نبدأ أى تحقيق علمى آخر . . . .» (١) .

\* \* \*

وبعدئذ يستطرد فرويد فى تحليل الصعاب المحتملة التى ستكتنف البحث فى تلك الظواهر ، لكنها مع ذلك لا ينبغى أبداً - فى تقديره - أن تعوق طريقه لفرط خطورة هذا البحث واتصاله بأغوار اللاشعور . ولذا فهو يدعو العاملين فى حقل التحليل النفسى إلى الإسهام فى هذا الموضوع الجديد من البحث بكل إقدام ونشاط .

---

(١) راجع أربعة تقارير ومحاضرات لسيجموند فرويد فى نفس هذا الاتجاه منشورة فى كتابه عنوانه « التحليل النفسى والغيب » Psycho-analysis and the Occult 1974 - ٤٧ - ١٠٩ ، وهى مترجمة عن الألمانية بمعرفة جورج ديفيرييه G. Devereux .

ويتضمن هذا الكتاب مجموعة مقالات وأبحاث لسبعة عشر عالماً معاصراً من العاملين فى حقل التحليل النفسى شارحة مواقفهم من دراسات الظواهر غير المألوفة ، ومدى اتصالها بهذا التحليل .

وهذا ما تحقق بالفعل خصوصاً منذ دّون فرويد هذه الأقوال الخطيرة في كل حرف منها في سنة ١٩٢١ ، وتكشف البحث اللاحق عن نتائج عديدة حاسمة مترامية في أبعادها ، ومفرطة في خطورتها .

وكان من رواد هذا النوع من البحث الجديد من أبناء مدرسة التحليل النفسى وهلم شتيكل Wilhelm Stekel زميل فرويد في العديد من أبحاثه ومؤلفاته ، فنشر في سنة ١٩٢١ بحثاً عن « الحلم التخاطري The Telepathic dream . ثم أعقبه فرويد نفسه فنشر في سنة ١٩٢٢ بحثاً عن ظاهرة التخاطر Telepathy ، وهو أول بحث اضطلع به فرويد في موضوع يعد من أهم موضوعات الباراسيكولوجى . وقد عرف فيه هذه الظاهرة بأنها « استقبال عملية عقلية يجرى بمعرفة أحد الأشخاص من آخر بطرق أخرى غير الإدراك الحسى » .

كما اطلع فرويد بطبيعة الحال على تلك النتائج الصارخة التى وصل إليها غيره في شتى موضوعاتنا فدفعته إلى أن يعلن - بعد إنكار وتردد داما طويلا - اقتناعه بدوام الحياة بعد الموت ، وبأن الموت - كما سبق القول - « مجرد عودة للإنسان من الحالة العضوية إلى الحالة اللاعضوية التى جاء منها » .

وذلك بعد أن كان فرويد قد شيد فعلا جل مفاهيمه النفسية على النظر إلى الإنسان بوصفه محض آلة محكومة بقوة الغرائز والملكات الفطرية . أى بعد أن حاول أن يخنزله في جانبه العقلى والروحى - مثلما اختزله الأطباء العضويون - إلى آلياته الكيمائية .

هذا وقد بينت فيما سبق كيف أن خلفاء فرويد - وبوجه خاص ألفريد أدلر Alfred Adler تلميذ فرويد ، ووليام مكدوجال W. McDougall ، وكارل يونج Carl Jung - قد حاولوا تدارك هذا النقص الخطير بأساليب شتى (١) . ثم جاءت بحوث الباراسيكولوجى المعاصرة - وهى الآن منتشرة في كل مكان -

لكى تؤكد هذا الاتجاه الثورى الجديد ، وتدفع به قدماً إلى الأمام فى اتجاه روحى واضح يسمو بالإنسان عن أن يكون مجرد آلة محكومة بقوة الغرائز والملكات الفطرية وحدها .

ولكن يوجد دائماً محللون نفسيون من أبناء ملوسة فرويد - خصوصاً فى الشرق الأوسط - يتصورون رغم ذلك أن من واجبهم - أو من حقهم - أن يتنكروا لهذه النتائج حتى الآن رغم أبعادها المترامية، وربما لنفس الذريعة التى كانت وستظل ستاراً لكل ركود وجمود وهى ذريعة الحفاظ على التراث العلمى ، والإشفاق عليه من أن يلحقه أى تجديد ! ! . . .

### عن موقف مكدوجال

من المعروف عن وليام مكدوجال أنه هاجم مفهوم فرويد للعقل الواعى الذى يعمل عن طريق المخ ، وتفصله عن هذا الأخير منطقة ثالثة كاملة هى مقدم العقل أو جبهته ، وذهب إلى أن العقل الباطن يشتمل على قسمين ظاهرين : أولهما جميع تلك الأجزاء من بناء العقل التى حرّمها الكبت من إظهار نفسها فى الوعى ، وثانيهما جميع المناشط غير الواعية . أى أنه تحت مصطلح واحد هو العقل الباطن قد امتزجت بضعة أجزاء من البناء العقلى ببعض وسائل العمل أو النشاط العقلى . . . فالمعنى المزدوج لمصطلح العقل الباطن كان العيب الذى « اعترضت » عليه منذ عرفت العقل الباطن من نحو ثلاثين سنة .

وفى محاضرات فرويد الجديدة نراه يقول : إننا لن نستعمل بعد الآن عبارة العقل الباطل بمعنى أنه مجموعة ، ولكننا سنطلق اسماً آخر على ما سميناها إلى اليوم بهذا الاسم . نعم سنسميه الإد Id ( ويراد به مخزن جميع الغرائز الفطرية ) . . . ولكن يا لهذا « الإد » ! إنه لا يزال عقدة كبرى يتخبط لإزاءها فرويد، فكأنما هو حوت كبير اقتنص فى شبكة من صنعه وإبداعه ، فهو يقول فى صراحة ووضوح : « إن الذات العليا ، والذات ، والإد ، عبارة عن ثلاث دول أو اصقاع أو أقاليم انقسم إليها الجهاز العقلى عند الفرد . . .

وواضح أن فى هذا تفريقاً ظاهراً بين الذات والإد ، لكنه لا يضاهى على الإطلاق

التمييز بين العقل الواعي والعقل الباطن ، لأنه على الرغم من أن الذات تتضمن الشعور فإنها بعد ذلك قسم من الإد ، وإذن فالذات العليا وظيفية في الذات ، ومن ثم يتضمن الإد غير الواعي في دخيله نفسه كلا من الذات والذات العليا ، وقد أكد فرويد أن هذين جزآن منفصلان تماماً عن الإد بقوله إن الثلاثة عبارة عن دول أو أصقاع أو أقاليم انقسم إليها الجهاز العقلي<sup>(١)</sup> .

هذا وقد سلم مكدوجال بوجود جسد أثري أو لا مادي للإنسان ، وذلك إلى حد أن أعلن بكل حزم ووضوح — أسوة بعلماء كبار آخرين — أنه بعد بحوثه في الباراسيكولوجي يفضل أن يستخدم تعبير الجسد الأثري أو الروحي للإنسان بدلا من الحديث عن العقل الباطن .

والإقرار بوجود هذا الجسد الأثري أو الروحي ليس أمراً هيناً ، ولا يمثل مشكلة قائمة بذاتها . بل إنه وثيق صلة باللاشعور من ناحية محاولة تحديد أبعاده الصحيحة ، وموطنه ، وتاريخه ....

فهل اللاشعور معاصر للشعور ، أم هو أعرق منه بكثير ؟ ! هذه هي أم المشكلات عند محاولة التمييز بينهما ، والتي تُعالج الآن تحت عنوان « مشكلة الوجود السابق » للذات الإنسانية ، وهذا هو موضوع الفصل المقبل .

---

(١) راجع وليام مكدوجال في « التحليل السيكولوجي والسيكولوجيا الاجتماعية » ١٩٣٦ .

## الفصل الثالث

### في مشكلة الوجود السبقي

ثمة مشكلة كبرى تتناولها كثيراً أبحاث الباراسيكولوجي لعلها تتجاوز في أهميتها العديد من المشكلات الخاصة بتعليل اللاشعور ، وبتحديد العلاقة بينه وبين الشعور ، وهي مشكلة « الوجود السبقي » للإنسان Pre-existence التي يتضمن عدد ضخم من الفلسفات والعقائد الحديث عنها ، منذ عهد الفلسفة الاغريقية في أزهى عصورها (سقراط - أفلاطون - أفلوطين - فيثاغورس) إلى العهد الحاضر .

فإن هذا « الوجود السبقي » متى ثبتت صحته بأسانيد حاسمة وضعية ، سيلعب دوراً خطيراً في إلقاء أضواء علمية مكثفة على العديد من ألغاز النفس الإنسانية وأسرار سلوكها العادي والشاذ ، السوي والإجرامي على حد سواء .

وهذا « الوجود السبقي » لم تتعرض له مدرسة فرويد بالمرّة ، بل اقتصر على إرجاع كل صور السلوك إلى رغبات مكبوتة في اللاشعور ترجع إلى الوراء منذ الحمل إلى الولادة ، لا قبل ذلك ، ولكن هناك صوراً من السلوك لا يكفى أبداً هذا الإرجاع المحدود لتعليلها . . . فهل فات أمرها على فرويد ؟ !

يعتقد بعض الدارسين أنه من المحال أن تكون هذه الصور قد فات أمرها عليه ، لأنه كان عالماً مدققاً ثاقب النظر إلى مدى بعيد ، ولكن هل كان بمقدور عالم أوروبي في القرن العشرين أن يرجع بعض صور السلوك الإنساني إلى وجود سبقي للإنسان ؟ ! وهل كان بمقدور البيئات العلمية المتمزّمة التي ارتبطت بمدرسة فرويد أن تتقبل - باليسر أو بالعسر - هذا الإعلان الخطير ؟ ! . . .

على أية حال أخذت الأسانيد تترام - منذ أكثر من نصف قرن بالأقل - في اتجاه يشير بوضوح إلى ثبوت هذا الوجود السبقي : وذلك من النواحي السيكلوجية ،

والبيولوجية ، والفسيولوجية ، ناهيك بالنواحي الفلسفية ، وبالذات ببدء حرية الاختيار والإيمان بالعدل الإلهي كبدء عام مطلق يحكم الكون<sup>(١)</sup> .

وهذا موضوع متشعب الأرجاء ، وقد كثرت وثائقه إلى مدى يتجاوز إمكان تصورنا ، لكن تكفى هنا الإشارة إلى أن « لجنة الخبراء الدوليين » التي اجتمعت في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تضم قمة التخصصات في شتى العلوم ، قد اتخذت قراراً صريحاً في سنة ١٩٧٩ - ولأول مرة في التاريخ - بأن « الوجود السبقي » للإنسان ينبغي أن يعتبر الآن حقيقة قد ثبتت علمياً<sup>(٢)</sup> ، وهذا يعتبر - في تقديرنا - أخطر قرار في تاريخ العلم كله .

وأمثال هذه الهيئات لا تلقى الكلام على عواهنه ومن المحال أن تتخذ قراراً في موضوع مفرط في خطورته كهذا الموضوع إلا بعد دراسات موسعة ناقدة هادئة امتدت إلى سنين عديدة ، وتناولت جميع الاحتمالات والوثائق التي قدمها العلماء ، وعلى أوسع نطاق ممكن .

#### طائفة من أغاز السلوك المرتبطة بهذه المشكلة

لكن يلزم على أية حال مرور وقت طويل حتى تتقبل الهيئات العلمية المتزمتة في العالم الالتزام بهذا القرار الخطير . الذي سوف يقلب رأساً على عقب العديد من المفاهيم العلمية السائدة في فروع شتى من العلوم المختلفة ، ولعل أولها مفهوم اللاشعور ، ومصدره ، ونوع الصلة بينه وبين الشعور . هذا بالإضافة إلى العديد من المفاهيم السائدة في السيكولوجيا ، والبيولوجيا ، والطبىعيات ، التي منها مثلاً ما يلي :

- تعزيز وجهة نظر القائلين بأن الضمير الإنساني - أو بالأدق الإحساس الحلقي فيه - ليس مجرد فعل منعكس شرطي من أسلوب التكيف التربوي منذ الطفولة كما يقول بعض النفسين التقليديين ، بل هو ميراث الذات من ماضيها السحيق التائه في جنبات تاريخها العريق .

(١) للمزيد راجع فيه مؤلفنا « في العودة للتجسد » بين الاعتقاد والفلسفة والعلم ، طبعة ٣ سنة

١٩٨٧ . ص ٦٥٢ - ٧٢٧ .

(٢) عن جريدة « السايكل نيوز » *Psychic News* البريطانية الصادرة في ٥ يناير سنة ١٩٨٠ صفحة ١ .

أو بعبارة أخرى هو حصيلة تطور الذات من الاختبارات المتنوعة التي تكون قد مرت بها ، ونوعها ، والقيم التي رسخت فيها . كما هو حصيلة الارتباطات المتنوعة التي ارتبطت بها ، والأهوال التي عانتها ، ونوع الثمار التي جنتها الذات من هذه الارتباطات والصراعات المختلفة التي ترجع إلى ماضٍ أبعد بكثير من أيام طفولتها المعدودة في حياتها الراهنة .

ولا ينبغي أن نتجاهل أبداً أن الإنسان - كما يقول الفيلسوف الاجتماعي جابريل تارد Gabriel Tarde - ميل إلى تقليد نفسه ، ولديه حين دفين إلى ماضيه . وهذا الميل من الممكن جداً - في ظل نظرية الوجود السبقى - أن ينصرف إلى ميل الإنسان إلى تقليد نفسه في وجود سابق له عن طريق الحنين الكامن في خبايا اللاشعور ، والذي يرجع إلى ماضيه السحيق . والذي جعل منه مستودعاً حياً لجميع المتناقضات والغرائب ، وبركاناً يغلي بجميع المشاعر والانفعالات الطيبة والشريرة ، الظاهرة والخبئية في اللاشعور ، والتي تجعله يتردد في اللحظة الواحدة بين الرضا والغضب ، والإذعان والتمرد ، والحب والكراهية . .

- وفي نطاق السلوك الإجرامى بالذات فلا ريب أن هذا التمرار سيعزز إلى حد بعيد وجهة نظر العلامة لومبروزو عن « الجرم بالفطرة » ، بمفهوم الجرم المرتد إلى أصله الحيوانى ، باعتبار أن هذا الأصل الحيوانى يكون لا يزال قابلاً في لاشعور الجرم منذ حقب طويلة مضت ، فلم يتمكن من الاندماج في سائر العناصر العليا للاشعور . وبالتالي لم يتمكن التطور من أن يدمج هذه العناصر كلها - إلى المدى المطلوب - ليخرج منها الإنسان الأخلاقى المعاصر ، وذلك لأسباب تحتاج إلى جهود طويلة قبل إمكان تعليلها .

- وهذا التمرار - من ناحية أخرى - سيقدم إلى النظرية المركبة للعقل The Compound Theory of The Mind أسانيد جديدة . وهذه النظرية لها أنصارها الآن عند نفر من أبرز العلماء مثل د. برووس Ch. D. Broad الفيلسوف

والأستاذ بكامبريدج ( ١٨٨٧ - ١٩٧١ ) وآخرين من العلماء المتخصصين في علم العقل وفي البحوث الروحية الحديثة (١) .

ومقتضى هذه النظرية أن العقل الإنساني لا يتكون من عنصر واحد ، بل من عدة عناصر متداخلة ومتجاورة ، أو من عدة طبقات يعلو بعضها فوق بعض الآخر بغير اندماج تام فيما بينها . وكل طبقة منها تمثل مرحلة من مراحل تطوره أو تجسده السابقة . وذلك كما تتكون الحرشوفة مثلاً من عدة وريقات متجاورة . وكل طبقة منها مدفونة في اللاشعور ولها كيانها الخاص بها لأنها عادة لا تتلاشى تماماً في جارتها ولا تذوب فيها ذوباناً كاملاً ، ومن الجائز أن تكون مصدرًا متميزاً من مصادر السلوك الراهن للإنسان ، سواء أكان سويًا أم غير سوي .

وعن طريق التنويم المغناطيسي أمكن في حالات عديدة الوصول إلى المرحلة أو إلى الطبقة الراهنة من اللاشعور ، كما أمكن - إلى مدى أو إلى آخر - الوصول إلى مراحل أو إلى طبقات سابقة لنفس هذا اللاشعور في الآلاف من الاختبارات العلمية التي جرت في أنحاء عديدة .

#### ماذا عن هيولي المحايدة ؟

وهذا القول « بالوجود السبقي » يعطى أيضاً أسانيد واقعية جديدة لنظرية هيولي المحايدة التي قال بها وليام William James الفيلسوف المعروف ، وأيده فيها بعض الرياضيين مثل الفيلسوف الرياضي برتراند راسل Bertrand Russell الذي قال إن الواقعيين الأمريكيين ( من أنصار المذهب البرجماتي ) قد أصابوا بعض الصواب في اعتبارهم العقل والمادة كليهما مؤلفين من هيولي محايدة لا هي بالعقلية ولا هي بالمادية إذا عزلناها وحدها .

ويعمى راسل في توضيح وجهة نظره فيقول إن هذه هيولي المحايدة قد تتخذ وضعاً

(١) راجع بوجه خاص :

يبيح لنا أن نسميها عقلاً وقد تتخذ وضعاً آخر يبيح لنا أن نسميها طبيعة مادية ، وقد تكون في وضع آخر يجوز فيه الوصفان . فإحساساتنا من مرثى ومسموع . . . الخ من الصنف الثالث لأنك قد تنظر إليها من زاوية فإذا هي تابعة لعلم النفس ، أو تنظر إليها من زاوية أخرى فإذا هي تابعة لعلم الطبيعة ، وعلى هذا الأساس أقام راسل نظرية « الواحدية المحايدة » أو « الهیولی المحايدة » مستوحياً إياها من المقال المشهور الذى كتبه وليام جيمس بعنوان « هل للوعى وجود ؟ » .

في ضوء هذا الفهم للعقل وللمادة يمكن أن تجد نظرية « الوجود السبقى » عن طريق الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة - بل هیولی محايدة بحسب وصف وليام جيمس - تأصيلها الفلسفى والرياضى الذى كانت تفتقر إليه فيما مضى ، كما كانت تفتقر إلى العديد من الوقائع الثابتة التى أمكن الوصول إليها باتباع الوسائل العلمية الحديثة في الكشف والتحقيق<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وهذا هو نفس الاتجاه الذى انتهى إليه أيضاً كارل يونج بعد أبحاث مثابرة مدققة . إذ ليس في تصورات يونج ما يتعارض مع القول بالهیولی المحايدة ، التى هي مادة من جانب وعقل من جانب آخر . بل لقد قرر صراحة أن الروح *Psyche* أو الوعى يمثل وجهاً نوعياً أو وصفاً *aspect qualitatif* للمادة :

وفي هذا المعنى يقول « إن الروح أو الوعى ليس شيئاً متميزاً عن المادة الحية ، إنه الوجه الواعى للطبيعة الحية *nature vivante* بل هو الوجه الواعى للمادة » . ويقول أيضاً « إننا نتبين أن للمادة وجهاً آخر أيضاً . هو الوجه الروحى *aspect psychique* وأنها لا تمثل شيئاً آخر ، اللهم إلا أن تكون العالم منظوراً إليه من الداخل » .

ولعل لهذا النظر وثيق اتصال بكشف عام آخر مرتبط بأبحاث يونج في الباراسيكولوجى

(١) للمزيد عن « النظرية المركبة للعقل » وعن « الهیولی المحايدة » راجع مؤلفنا « في العودة للتجسد »

وهو كشف اللاشعور -- الجمعي *collective unconscious* الذى مقتضاه أنه يوجد أيضاً لدى كل مجتمع لا شعور عام كما يوجد لدى كل فرد لا شعور خاص .

وهذا اللاشعور العام فضلاً عن ارتباطه بمبدأ تأثير الوعى فى المادة ، وبالطبيعة الحية ، فإنه مرتبط أيضاً بمبدأ توافر قدر ما من حرية الاختيار فى سلوك الكائنات ، وبوجود منبع عام تستمد منه الجماعات مصادر مشتركة للوعى ، والتصرف فى اتجاهات تبدو متقاربة ، ويبدو العديد منها عبارة عن استعدادات لأحداث سابقة لكن فى ظروف وأوضاع متجددة ، ومتميزة عما سبق منها فى ظروف أخرى . وهذا ما اعتدنا أن نعبر عنه بأن « التاريخ يعيد نفسه » ، وبأنه « لا جديد تحت الشمس » . حتى وإن تفاوتت الصور الظاهرية للأحداث تفاوتاً ضخماً لتفاوت الظروف والملايسات المعاصرة عن مثيلاتها فى الماضى ، وفى الجملة فإن يونج ينفى احتمال وجود مادة ميتة بالمعنى المتداول عند علماء المادة .

\* \* \*

ومع ذلك فإن ثمة فئات من العلماء الطبيعيين لا تزال تؤمن بوجود مادة ميتة، ولها سلوك محض آلى ومحدد كالساعة مقدماً بدقة متناهية ، ولذا فهم لا يتقبلون تقارير يونج ، مهما كانت منتزعة من واقع التجريب العملى والعلمى الذى قاد منهجه ، والذى دعاه لأن يرفض هذه الآلية المطلقة لسلوك الحياة بوجه عام .

ونتيجة لذلك فإن يونج ينبغي أن يعتبر من أنصار أزلية الحياة لأنه أيضاً يستبعد كل احتمال لأى خلق متجدد فى الإنسان . وفى الواقع لا يزال باب النقاش مفتوحاً إلى يومنا هذا فى الفيزياء النظرية حول مشكلة الخلق المتجدد، والخيار بين مذهب الحتمية النسبية وبين وجود مجال لحد أدنى من الحرية ، وهذا ما تميل إليه فيزياء الكم أو الكمية *La physique quantique* ويبدو أن الميزان أخذ بالأكثر فى الميل نحو قبول فكرة وجود مجال ما لحرية الاختيار فى سلوك الكائنات الحية<sup>(١)</sup> .

(١) للمزيد راجع : Marie Louise Von Franz : C. G. Jung : Son Mythe En Notre

Temps. Par Etienne Perrot 1975 p.210- 211.

### الهيولى المحايدة بين الوجود السبقي والعودة للتجسد

ولا ريب أنه توجد صلة وثيقة بين موضوعات الهيولى المحايدة والعودة للتجسد من جديد عن طريق الارتباط برحم أم جديدة ، وظاهرة تجسد الأرواح عن طريق استعارة الروح جسداً جديداً تنتزعه من جسم الوسيط أو الوسيطة عن طريق مادة الاكتويلازم أى البلازما التى تخرج من دم أيهما .

والفارق الأساسى بين هاتين الظاهرتين الأخيرتين يكمن فى أنه فى ظاهرة العودة للتجسد تكون عودة الروح إلى عالم المادة لمدة طويلة أو قصيرة هى مدة حياة الروح على سطح الأرض ، وفيها تفقد الروح ذاكرتها عن حياتها السابقة فقدماً تاماً أو جزئياً . أما فى ظاهرة التجسد فإن عودة الروح إلى مستوى عالم المادة تكون لمدة لحظة أو لحظات قصيرة قد لا تتجاوز ساعة واحدة وربما أقل ، وفيها لا تفقد الروح أى عنصر من عناصر ذاكرتها القريبة لأنها لا تستخدم جهازاً جديداً مادياً هو منحها العضوى الجديد .

وظاهرة تجسد الأرواح هى أخطر الظواهر الفيزيكية وأندرها . وقد حققها علماء كبار فى دول عديدة ، وتحققوا منها بإخضاع الروح المتجسدة مؤقتاً لفحوص طبية دقيقة ، وبتصوير الروح المتجسدة فى أوضاع تفتنى فيها احتمالات الوهم ، أو الخداع ، أو الإيحاء الفردى أو الجماعى . وكان ذلك فى عدة بلاد منها إنجلترا ، وفرنسا ، والدانمارك ، وأمريكا ، وإيطاليا ، وكندا ، والبرازيل ، وألمانيا... وغيرها على ماوضحته سابقاً بالعشرات من الصور الحاسمة .

\* \* \*

إنما يهمنى هنا أن أوجه الأنظار إلى مدى احتفاظ الإنسان بملاحظته الخارجية حتى بعد ما يغادر عالم المادة إلى عالم ما وراء المادة . وكأن ملامح الإنسان محفورة فى ذاكرته ، أو بالأدق هى راسخة فى وعيه ولا شعوره الخاص لا تريد أن تتزحزح عن الذاكرة والوعى كالعديد من المواهب والملكات ! ! .

وهى لا تتزحزح عن الذاكرة حتى بعد العودة للتجسد — لأن لها جنورها الثابتة فى وعى صاحبها — كما يتضح من الصور الحاسمة . وإن كان ثمة تغير فى هذه الملامح

فهو تغير محدود المدى كأنه يريد على أية حال أن يحافظ على الملامح من الضياع في غمرة التجسد أو العودة للتجسد في جسد آخر جديد .

بل لقد اتضح من بعض التجارب النادرة - بل الفريدة في نوعها - أن حتى بصمة الإصبع قد تحتفظ عند التجسد بنفس طابعها القديم لا تريد أن تحيد عنه ، كما ظهر من البصمات التي أخذت للروح والتر ستنسون Walter Stinson الذي تجسدت يده عن طريق شقيقته الوسيطة مارجرى Margery عقيلة الدكتور كراندون أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد Harvard .

وهذه التجارب الأخيرة بالغة الخطورة في تطور علم الروح ، وقد جرى بعضها في حضور وليم مكدوجال W. Mc Dougall أبرز علماء النفس في زمانه . وكانت سبباً في إنشاء قسم خاص للباراسيكولوجي بجامعة ديوك Duke بالولايات المتحدة الأمريكية .

وهذه التجارب حسمت في نظر لفيث من قمة العلماء مشكلة دوام الحياة بعد موت الجسد العضوي . كما حسمتها أيضاً اختبارات صنع نماذج من الشمع المحوفا لتجسيدات الأيدي والأقدام على ما وضحته بالصور الوفيرة فيما سبق<sup>(١)</sup> .

وثبوت دوام الحياة بعد الجسد العضوي كان من شأنه انبثاق فلسفة جديدة تماماً في العلوم الطبيعية والإنسانية . وقد تجلت بوضوح في موقف العلامة كارل يونج من الذات الإنسانية . وهذا الموقف الجديد أدى إلى اندلاع الخلاف بينه وبين فرويد ، إلى أن تراجع هذا الأخير عن فلسفته القديمة ، وهذا هو موضوع الفصل المقبل .

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٤٨ - ١٨٤ .

## الفصل الرابع

في موقف يونج من الباراسيكولوجي

ومن الذات الإنسانية

### المبحث الأول

اندلاع الخلاف بين فرويد ويونج

كلمة عن « علم النفس التحليلي »

تناولت في الفصل الثاني موقف سيجموند فرويد من الباراسيكولوجي - إجمالاً وبغير دخول في التفاصيل ، أما عن كارل جوستاف يونج<sup>(١)</sup> فهو لم يهتم فحسب بدراسة الأمراض النفسية النوعية للروح ، بل ذهب اهتمامه بعيداً . خصوصاً نحو التنقيب في ألباز الروح التي تقع وراء كل أوجه النشاط الإنساني ، وأوجه الإنتاج والإبداع التي يمر بها البشر . وفي هذا الشأن يختلف يونج عن فرويد اختلافاً بيناً ، فإن فرويد عني بالأوجه المريضة للنفس الإنسانية وحدها ، أما يونج فراح يتقب في كل أوجه نشاط الوعي الإنساني عن طريق الشعور أو اللاشعور . بما في ذلك أوجه النشاط الإبداعي الراق في إطار العلم ، أو الفن ، أو الفلسفة . . .

فليس من المغالاة إذآ القول بأن الآداب ، والفنون ، وأوجه السلوك الاجتماعي المألوفة للأشخاص تبدو تحت أضواء جديدة عند التوصل إلى تحديد صحيح لمفهوم اللاشعور . وأنه يتوقف على اعتناق فكرة صحيحة أو زائفة عن هذا اللاشعور الحكيم

---

(١) هو أبرز اسم في علم النفس الحديث وأحد عمد أربعة يقوم عليها ( بالإضافة إلى فرويد ، وآدler ، ومكسوجال ) ، لكن يعتبر يونج أعظمهم في تفكيره ، وأغزرم إنتاجاً ، وأوثقهم اتصالاً بدراسات الظواهر غير المألوفة .

على القيمة الذاتية التي تنطوي عليها حضارتنا ، وربما قدرتها على الدوام ، ولذا فإن آراء يونج لم تتغلغل إلا قليلاً - وببطء شديد - إلى التحليل النفسي الرسمي . واستفادت نفوس تنتمي إلى أوجه أخرى من المعرفة من آراء يونج قبل أن يستفيد المحللون النفسيون . . . الذين وصلت آراؤه إليهم متأخرة .

ولذا اندلع الخلاف حاداً وعميقاً بين فرويد وبين يونج . وكان الصراع قبل تحول فرويد عن آرائه التقليدية في علم النفس الذي أقامه بنفسه . فلم يكن الصراع بين يونج وفرويد صراعاً شخصياً ، بل انبعث عندما أصر فرويد على القول بأن اللاشعور عبارة عن محض ظاهرة روحية ثانوية ناجمة عن رجوع الذاكرة إلى الوراثة *Refoulement* حين أصر يونج على أنه بمثابة التربة الأم الذاتية الصانعة للحياة الروحية العادية . وبسبب هذا الخلاف في المفاهيم اختلف يونج مع فرويد وانفصل عنه . وأسس مدرسة خاصة به هي مدرسة « علم النفس التحليلي » *Analytical Psychology* بدلا من مدرسة « علم التحليل النفسي » *Psycho-Analytic* التي أسسها فرويد .

وتتضح أوجه الخلاف الجذرية بين المدرستين بوجه خاص عند الاطلاع على الجزء الرابع من موسوعة يونج في شرح فلسفته النفسية ، التي تقع في عشرين جزءاً . وعنوان هذا الجزء الرابع هو « فرويد والتحليل النفسي » *Freud And Psycho-Analytic* وفيه صوّب مدافعه بعناية وإحكام إلى مدرسة التحليل النفسي التي أقامها فرويد حتى حوّلها يونج إلى محض ركام وحطام ، فلم تقم لها بعدها قائمة .

\* \* \*

ومن الأسس الأولى في « علم النفس التحليلي » ألا نقول إن للإنسان نفساً *Soul* أو روحاً *Payche* . بل أن نقول - بالأكثر - إن الإنسان بوصفه كائناً روحياً - فيزيقياً يعبر عن حقيقة روحية . أو هو يمثل شرطاً من حقيقة روحية .

وفي تلك اللحظة التي تبدأ فيها في الدخول إلى علم نفس يونج يبدأ لديك انطباع واضح بالدخول إلى عالم رحب جديد يحتوي على مسالك عريضة لأقاليم مجهولة . ولأسرار عديدة يتعذر ارتيادها أو استكشافها . وذلك العالم الرحب الجديد

هو عالم النفس أو الروح على أوسع المفاهيم الممكنة ، لأن يونج يقدم هذا العالم بوصفه غير محدود في اتساعه وفي آثاره .

### تعبر الفصل بين الذات وتلك الحقيقة الروحية التي تعبر عنها

وكما أنه في الفيزياء الحديثة لا يمكن وضع حد فاصل بين جسم الإنسان والعالم المادى المحيط به ، لأن هذا الحد سيال أو مائع ، كذلك الذات الإنسانية ، فإنه لا يمكن وضع حد فاصل بينها وبين تلك الحقيقة الروحية التي تعبر عنها .

وهذا الرأى لا يلتئم مع ذلك النظر الذى ساد من قبل في الفلسفة المادية للوجود خلال القرن التاسع عشر . والتي تسلت إلى أذهان الكثيرين لفرط بساطتها ، وسهولة تناولها . ولعل - لهذا الاعتبار ذاته - ما تزال هذه الفلسفة تتسلل إلى أذهان بعض الأشخاص من منكرى الروح الإنسانية ، أو من دعاة تجهيلها وتجاهلها .

وقد رسخ عندهم الاعتقاد بأن ذات الإنسان لا تمثل سوى نقطة تافهة في هذا الكون غير المتناهى الأرجاء ، وبداهم الكون كما لو كان لا يحتوى على شىء آخر سوى هذه الذرات على هذا الكوكب المادى التافه الذى يقطنه بنو البشر .

فجاء يونج لى يقرب هذا النظر رأساً على عقب ، وقام بدور مماثل - في ثورته على الفقه القديم - لدور كوبرنيكوس Copernicus العالم الفلكى الشهير . وأقام يونج أساساً جديدة لتحديد علاقة الإنسان بالكون . واعتبر أن الروح حقيقة ، وأمر واقع لأنها تعمل بنشاط جم ، ولأنها بذاتها حقيقة فيزيقية لها قوانينها . وطاقتها ، وأسبابها ، وأهدافها ، وتطورها . ومسالكها الخاصة المتميزة عن سائر الحقائق الفيزيقية الأخرى .

وأصر يونج على رأيه هذا في كل مؤلفاته . وخصص للدفاع عنه مؤلفاً خاصاً بعنوانه « حقيقة الذات أو النفس »<sup>(١)</sup> . ونادى مراراً وتكراراً بأنه عندما يتحدث عن أمر روحى فهو يتحدث في نفس الوقت عن أمر حقيقى ، رفيع ، موجود من قبل . أو بالأدق رفيع من قبل أن يوجد !!!

وإذا كانت النفس الإنسانية حقيقة واقعة لأنها تعمل ، فإنها لذلك تمثل الحياة ، أى تمثل تسلسلاً حياً ، أو واقعة حية . ولذا لا نعثر عليها أبداً - فى علم نفس يونج - بوصفها شيئاً منتهياً ، أو منسياً ، ولا بوصفها شيئاً مستقراً ولا ثابتاً ، بل هى دائماً حية وحاضرة .

وكما يختزل العلم المادى الحياة إلى حركة وإلى أحداث ، كذلك يفعل يونج بالنسبة للذات . وقد بدأ فرويد هذا النظر لكنه ربط النفس ربطاً وثيقاً بحياتها الغريزية ، أى بدوافع محض حركية . إلا أن يونج خفف من قوة هذا الربط بالدوافع الغريزية إلى حد كبير ، وركز كثيراً على حيوية الذات بمفهوم واسع مع الإشارة - مراراً وتكراراً - إلى أنها تعيش فى تسلسل حيوى ، وفى حركة ، وفى تطور ، وأن هذا يجرى لها دواماً بلا توقف ولا نهاية .

## المبحث الثالث

### عن الليبيدو واللاشعور

#### بحسب يونج

#### عن الليبيدو

حين راح فرويد يستخدم كلمة ليبيدو للإشارة إلى الدوافع الجنسية ، راح يونج يوسع من مفهوم الليبيدو حتى يشمل الطاقة الروحية برمتها . وهذه الطاقة الروحية يعنى بها - كما قال - مدى كثافة تسلسل العمليات الروحية ، والقيم النفسية . ولا يعنى بها أية قيمة متميزة سواء أكانت أدبية ، أم جمالية ، أم عقلية . بل هى تلك القيم المرهونة - بكل بساطة - بالقوة التى تجدها ، والتى تعبر عن نفسها فى صورة تسلسل عمليات روحية محددة .

ولذا نجد يونج يستخدم تعبير ليبيدو محل تعبير الإرادة . ولا تظهر الإرادة ضمن وظائف الذات التى يحددها يونج . لأن الإرادة فى تقديره تمثل دافعاً له هدف Purposive Libido . ويختار للتعبير عن الإرادة كلمة ليبيدو لأنه فى حالات شلل إرادة الطاقة الروحية ، يكون هذا الدافع ما يزال حاضراً ، وقد يشد بعنف انتباه الشخص .

وما دامت فكرة الليبيدو هي أيسر الأفكار فهماً ويمكن أن تغطي بنفس المقدار ظواهر اللاشعور ، بينما أن فكرة الإرادة تكون عادة مرتبطة بالشعور ، لذا فإن يونج يفضل تعبير ليبيدو - لهذا المفهوم الواسع الذى أشرت إليه وهو مفهوم الطاقة الروحية - على مفهوم الإرادة .

\* \* \*

وكل ما يتصل بالليبيدو يكون نشاطاً من الناحية الروحية ، ويجعل نفسه محسوساً ، إما بنشاطه الخلاق ، وإما بنشاطه المرضى فى حالات الأمراض والاضطرابات العصبية . وليس بمقدور الإنسان أن يتحكم بإرادته فى هذا الليبيدو ، بل بالعكس إن بمقدور الليبيدو أن يهرب من الشعور ، ويصبح تأثيره أقوى من أى تأثير منطقي أو أى استدلال عقلي .

وليس بمقدور الإنسان أيضاً أن يتحكم فى هذه الطاقة الروحية بأن يستخدمها أو أن يمتنع عن استخدامها كما يشاء أسوة بالطاقة المادية ، فالطاقة الروحية فى الإنسان يمكن تشبيهها بنهر يتحتم أن يجرى فى مجراه ، حتى وإن أمكن فى بعض الأحيان التحكم فيه فى حدود معينة .

وكثيراً ما يفعل هذا الليبيدو نفس الشيء الذى لا يريده الإنسان ولا يتوقعه . وفى هذا النطاق تبدو الذات غير منطقية ، وأوسع من الشعور ، بل أوسع حتى من الحياة كما نفهمها عادة . ولذا فهو يعطى للروح وللطاقة الروحية مفهوماً متسعاً ، بل بلا حدود . ويعطى الذات حياة تتجاوز كل تطلعاتنا : حياة لهاظلالها وأضواؤها ، ولها زهورها وأشواكها . وفى كل الروابط الإنسانية تحيا الذات وتتهز أيضاً ، لكن النفس أبعد ما تكون عن البراءة أو عن البساطة . وكل الروى الجميلة يراها الإنسان من خلال نفسه ، كما يعرف أيضاً خلال نفسه طاقات التدمير والإفناء .

والذات هى مركز الشعور ، لكن يوجد جزء من الشخصية ليس متسقاً مع هذه الذات وغير شاعر بها ، ولذا فإن للنفس امتداداً فى اللاشعور . والشعور هو قوة لخروط ، أما قاعدة المخروط فهى عميقة وتمتد إلى إقليم اللاشعور ، وهذا اللاشعور

الشخصى يقع نسبياً ملاصقاً للذات، لكنه يمتد إلى الإقليم الروحي الذى ليس بمقدور الذات أن تدلف إليه .

ويوجد أشخاص عديدون ليس بمقدورهم أن يعرفوا شيئاً عن تلك الإمكانيات الوظيفية الحامدة فيهم ، بينما يوجد آخرون يشعرون أن عليهم واجب تنشيطها فى بعض الظروف ، وما يحدث فى الحالات الفردية يتوقف على المستوى أو النضج الروحي . وهذا الميل المنتشر نحو « مذهب حكمة الإنسان » Anthroposophy أو مذهب « الثيوصوفية » Theosophy ونحوها يكشف بحسب يونج عن رغبة العديد من بنى البشر فى اختبار هذه الإمكانيات على نحو أو آخر (١) .

\* \* \*

وعلى أية حال فإن يونج ينظر إلى اللاشعور بوصفه لاعباً دوراً هاماً فى حياة الإنسان شأنه شأن عقله الشعورى ، لأن اللاشعور يعمل « مقاصه » مع الشعور ، وكلاهما مرتبطان ويسند كل منهما الآخر . فوظيفة اللاشعور هى « المقاصه » أو التعويض لكنها ليست هى التضاد أو التناقض مع الشعور . وبمقدور اللاشعور التدخل وإحداث التوازن عندما يتطرف السلوك الشعورى أكثر مما ينبغى .

واللاشعور هو تعبير موضوعى معاصر يشير إلى وجود اختبارات فى ذاكرة الإنسانية موعلة فى القدم كما قلت . وهو يضم عدة عناصر أجنبية ، مجهولة تبعث من عالمنا الداخلى ، ودفعات من القوة قادرة على أن تغيرنا بغتة ، كما يضم أحلاماً ، وأفكاراً تلقائية ، نشعر أنها ليست من صنعنا ، وإن كانت تصعد من أعماقنا بطريقة غريبة ، وقديرة . وقد مر يونج ببعض تلك الاختبارات بنفسه ، وعرضها فى كتاب له عنوانه « حياتى » Ma Vie .

---

(١) « الجمعية الثيوصوفية » أسستها وسيطة روسية الأصل تدعى هيلين بروفلا بلافاتسكى H. P. Blavatsky وهدفها الأساسى إحياء مبادئ « الحكمة القديمة » التى تقوم على عقيدة خلود الروح مع التأثير الواضح بديانة الهند القديمة ، بما فيها الإيمان بالعودة للتجسد وقانون الكارما . ولهذا الجمعية فروع كثيرة فى المدن الكبرى . وكان لها فرع فى القاهرة أيضاً إلى عهد قريب .

وهذه الاختبارات مرت بها الشعوب الماضية ، وما تزال تمر بها الشعوب المعاصرة حتى تلك الشعوب البدائية التي تعيش بالقرب من الطبيعة ، لأنها تنتمي إلى جوهر الحياة ولها .

### الظواهر غير المألوفة مفتاح آرائه في اللاشعور

لهذا كله اتسعت آراء يونج لكي تحتضن جميع الظواهر غير المألوفة التي يعنى بها الباراسيكولوجى . والتي مر هو ببعضها منذ طفولته ، عندما كان يحيا في الريف . وكانت مألوفة عنده ، كما هي مألوفة عند كل أولئك الذين يحون في أحضان الطبيعة . وهذه الظواهر أثارت فضوله للمعرفة ، وراح يجعل منها موضوعاً لرسائله للحصول على الدكتوراه في علم النفس منذ سنة ١٨٩٩ . وهذه الرسالة طبعت في ليزج Leipzig بالمانسا في سنة ١٩٠٢ وترجمت إلى كل اللغات تقريباً ، لكنها حتى الآن لم تترجم إلى العربية !! (١) .

ومنذ بدأ يونج في ممارسة مهنته في التحليل النفسى التقليدى في زيوريخ في سنة ١٩٠٠ شعر أنه « قد اعتنق مذهباً لا يؤمن إلا بالأوهام ، وبالتفاهات ، وبفاقة الإحساس » بحسب قوله . وأخذ ينظر إلى كل حالة مرض عصبي بوصفها تعبيراً عن مأساة شخص ما مهما كان وصفها العلمى . ووجد أن التاريخ الشخصى لأى إنسان هو « سره الخاص الذى يناضل ضده ، وهو يحتوى في نفس الوقت على مفتاح الشفاء » . وللعثور على هذا المفتاح يلزم اتصال طويل وصبور بالمريض .

ولذا فإن هذا التحليل النفسى يجب أن يضع نفسه في مواجهة الذات الحية الكلية للمريض بكل شخصيته الخاصة ، لإقامة علاقة من الثقة بالمريض هي أهم من اتساع أسلوب معين في العلاج ، لأنه إذا كان الطبيب لديه شىء يريد أن يقوله فإن المريض لديه نفس الشىء .

كما ينبغي أن يضع في الاعتبار تلك القاعدة التي وضعها باراسيلز Paracelsus

(متصوف وفيلسوف سويسرى) والى مقتضاها أنه « حيث لا يوجد حب لا يوجد فن ». وكذلك الطبيب أيضاً فإنه يلزمه « أن يحوز قدرأ من العطف والحب نحو مريضه يماثل ذلك القدر الذى يعتقد المرء أن الله يحوزه إزاء الإنسان » .

فالتبيب « هو الوسيلة التى تتدخل بها الطبيعة فى نشاطها . وما يصنعه الطبيب ليس من عنده لأن ممارسة فن الطب لها موضعها فى القلب : فإذا كان قلبك زائفاً فإن الطبيب الكامن بداخلك زائف أيضاً » .

وأخذت الظواهر غير المألوفة تشد انتباهه تدريجياً ، فانكب على دراستها وتحليلها وتححرر من الفلسفة المادية للوجود ، وبني اقناعه الراسخ بأنه يمكن الوصول إلى أعماق الروح عن طريق تفسير هذه الظواهر نفسها . وبأنه من الممكن تفسيرها عن غير طريق علم النفس المجرد (التقليدى) .

\* \* \*

وتأسيساً على ملاحظة المرضى ، وأيضاً على ملاحظة كل الإنتاج الإنسانى بين أدبى وفلسفى وفى فى جميع العصور وفى جميع الأرجاء أقر يونج بأن الروح الإنسانية لديها احتياج يقع فيما وراء الطبيعة ، أى لديها « وظيفة غيبية » ، أى حاسة تتجه بها إلى عالم الغيب .

ويبدو أن الاعتقاد فى نخلود الروح ، وفى دوام حياتها بعد الموت يدخل فى إطار هذا الاحتياج . ولكن هل ينتمى هذا الاحتياج إلى حقيقة ما ؟ ويوجب يونج على هذا التساؤل الأساسى الذى يثيره قائلاً « منذ خمسين عاماً ( سابقة على هذا القول الذى يرجع إلى حوالى منتصف القرن العشرين ) كانوا يؤكدون بيقين أن النفس مرتبطة بالمخ أكثر مما يفعلون الآن . ولكن حتى يتحرر علم النفس من هذا الاعتقاد عليه أن يهضم حقائق معينة عما وراء الروح لكنه لم يبدأ بعد هذا العمل » .

وفى كتاب له صدر فى سنة ١٩٥٢ تخلى يونج تماماً عن أسلوب التحليل النفسى التقليدى لكى يتحدث عن العالم الفيزيقي بوصفه جزءاً من عالم أوسع منه ، وأوفر

تناسقاً منه . ولكي يتحدث عن الملكات فوق المألوفة بوصفها تمثل « استيلاء » على هذا العالم الأوسع . ووصفها بأنها تتعاصر مع أحداث عالمنا عن طريق صلة خاصة من التعاصر المتناسق Synchronisation .

وهذه الملكات تتجاوز قيود المكان والزمان ، وبالتالي فهي خارجة عن كل رابطة من روابط العلية كما نفهمها . . . ففي نطاق هذه الظواهر التي تعلو على المؤلف لا يمكن لأي شيء أن ينتج عن عدمه، والكون برمته يسير على نفس النسق في تناسق علوى يمكننا أحياناً أن ندركه في تداخل الأحداث ، وفي تعاصرها (١) . .

### موقفه من اللاشعور

هكذا أصبح لدى يونج يقين تام بوجود ظواهر روحية موضوعية لا شعورية ، ومع ذلك فإن لها صلة بصاحبها ، لكنها لا تكون منه مجرد عنصر راجع للوراء ، بل مصيراً جديداً . ولذا جعل همه الأكبر فيما بعد أن يستكشف تماماً هذا اللغز . وهو لغز الصفة المتبدعة أو الخالقة في اللاشعور . وأولئك الذين مروا بنفس تلك المفاهيم التي قدمها يونج عن هذا اللاشعور ، أمكنهم أن يقتنعوا بصحتها وجدواها تماماً ، وأن يتجاوزوا معه في يسر وبساطة .

والمفاهيم التي يسبغها يونج على اللاشعور تمثل في الواقع صفحة جديدة مغايرة للأسلوب العلمي كما ساد في القرن التاسع عشر ، ومصدراً للصراع الذي كان ناشئاً حول جهود يونج . لكنها مفاهيم تبدو مقبولة عند أولئك الذين عرفوا ما نادى به أحسن المفكرين من قبل بأنه من المحال التوصل إلى معرفة الأمور على نحو مطلق ونهائي ، واللاشعور أحدها (٢) .

Yvonne Castellan :

(١) تلخيص عن :

La Parapsychologie. Paris 1974. p. 117 . 118.

(٢) للمزيد في هذا الشأن راجع كتاب « الإلهام والاختبار الصوتي : جولة بين الفلسفة والتجريب »

١٩٨٦ ص ١٢٣ - ١٢٧ .

وفي الاشعور تكمن تقريباً كل مشكلات النفس الإنسانية من ناحية إمكاناتها المتاحة ، وأسباب صحتها أو مرضها ، وسبل علاجها وإنقاذها ، وتطورها أو جمودها ، وجبها أو كراهيتها ، ويقظتها أو خولها ، وتكيفها مع البيئة أو عدم تكيفها ، والتمييز بين الفردية والشخصية ، وبين ما هو باقٍ منها وما هو متغير أو فانٍ مع مضى الوقت ، وحقيقة صلاحها بالزمان والمكان ، وتطلعاتها للمستقبل ونجاحها أو فشلها في تحقيق آمالها المشروعة أو غير المشروعة ، ومثلها العليا الصحيحة أو الزائفة .

فإن هذه الأمور النابعة من الاشعور والمرتبطة به - على نحو أو آخر - أصبحت تبحث الآن بعمق وفاعلية تحت أضواء جديدة تماماً ، ومفرطة في لزومها وفي اتساع أبعادها . وذلك إلى حد لم يكن أحد يتصوره مطلقاً عندما بدأ النهج العلمي ينقب في دراسة « الظواهر غير المألوفة » بأساليب مستحدثة أطلقوا على مجموعها اسم « الباراسيكولوجي » أو « ما وراء الروح » .

\* \* \*

وبطبيعة الحال فإن النفس يعنيها دائماً أن تعرف كيف يموت الإنسان . وكأن الإحساس بقرب حلول الأجل يتمثل في شكل صور عن حياة مستقبلية . أو في شكل تحول ، أو أي شيء من هذا القبيل . ولذا فإن يونج متفق مع كاروس Caraus بشأن القول بأن الاشعور يصوغ الحياة .

وحتى بعد الوفاة فإن بمقدور الاشعور أن يواصل هذه المهمة وهي صياغة الحياة . وليس الاشعور عنده مجرد ركيزة أو قاعدة للشعور ، أو للعقل الواعي ، بل هو المصدر الأساسي الذي يستمد الشعور طاقته اللازمة لوجوده المتواصل ، ولذا فإن « الروحي » أوسع في أفقه من الذات . ومن بين الحقائق الروحية للاشعور ، أن الإنسان يواجه طاقات تتجاوز بكثير حدود شخصيته .

ولذا يلزم الإنسان أن يتفاهم مع هذه الطاقات ، وكل من لا يفعل ذلك يقع ضحية لمخاطر النفس . وأقام يونج تطبيقاته العملية في « علم النفس التحليلي » على أساس هذه الحقيقة الضرورية التي يشعر بها كثير من الناس الآن ، وهي أنهم مجبرون

على مواجهة طاقات الروح . وعثر على أمور عديدة هامة عن الحياة الروحية اللاشعورية وقال إنه من المنتظر استكشاف ما هو أهم منها مستقبلاً .

واطلع يونج على تحقيقات متنوعة منها تحقيقات كروكس Crookes رئيس « المجمع العلمي البريطاني » ، والعلامة الفلكي الألماني زولنر Zollner بشأن تجسيدات الأرواح التي أوردنا عدة نماذج منها مؤيدة بالصورة (١) .

### الروح عنده حقيقة قائمة بذاتها

وقد وصل كارل يونج أيضاً إلى أن الروح حقيقة قائمة بذاتها ، ومستقلة عن كل ما هو فيزيقي (٢) . كما اقتنع بعد بحوث مضية في الباراسيكولوجي بوجود الجسد الأثيري ، واستعمل في التعبير عنه وصفاً أصبح شائعاً الآن وهو The Archetypal أى النموذج أو المثال الأصلي ، أسوة بعدد من العلماء الآخرين (٣) . ووصفه يونج بأنه « الإنسان السماوي » للإشارة إلى أنه يمثل العنصر الخالد في الإنسان ، والذي يعده لحياة السماء لا لحياة الأرض .

وقال يونج عنه إنه من طبيعة روحية وأنه بالتسليم به لا يعارض آراءه السابقة في علم النفس ، لكنه يدفع بها قدماً إلى الأمام للوصول إلى تعاريف أكثر دقة ، بعد أن وجد نفسه مضطراً إلى القيام بتحليل عام لطبيعة النفس وإيضاح الخصائص الأولية المتعلقة بها ، والصلات بين بعضها والبعض الآخر .

ويقول يونج إن النفس البيولوجية التي تحمل الغرائز - شأن الأشعة الروحية دون الحمراء The Psychic infrared تتخلل تدرجياً إلى فيسيولوجيا الأعضاء ، ومن هناك تنتشر بظروفها الكيميائية والطبيعية .

(١) راجع ما سبق ص ١٤٨ - ١٨٤

(٢) راجع في هذا الموضوع مؤلفاً لبرنارد بروماج Bernard Bromage عنوانه :

G. Jung. Grand Pretre De La Psychologie Occulte.

(٣) راجع مجلدات Eranos-Jahrbucher ( بالألمانية ولها ترجمة كاملة بالإنجليزية ) في الجزء الثاني

عشر ( سنة ١٩٤٥ ) وعنوانه « دراسات في مشكلة النموذج أو المثال الأصل » .

Studies On The Problem of the Archetype.

وكذلك أيضاً هذا النموذج أى المثال المطابق أو « الإشعاع فوق البنفسجي الروحي »  
The Psychic Ultraviolet أو النفس البيولوجية التي تحمل الغرائز . فإنه يمثل حقلاً  
لا يبرز أياً من الخصائص الفسيولوجية ، ومع ذلك لا ينبغي أن ينظر إليه في نهاية التحليل  
يوصف أنه محض أمر روحي ، لكنه عبارة عن مجموعة وظائف فسيولوجية تجري  
بنفس طريقتهما .

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي تحديد مركز النموذج أى المثال الأصلي تحديداً  
مشابهاً لتحديد الغريزة الفسيولوجية من ناحية وجوب اعتبار هذا النموذج بطبيعته  
الروحية بمثابة القنطرة إلى المادة بوجه عام . ثم يقول إنه في النظريات القائمة حول هذا  
النموذج أو المثال المطابق ( للجدس المادى ) تواجه الروح والمادة كل منهما الأخرى على  
المستوى الروحي ، فالمادة أسوأ بالروح تبدو في مملكة النفس ذات صفات متميزة .

ويتهى يونج إلى أن هذا النظر يتطلب وجود نفس مرتبطة بالمادة في رقعة ما ،  
أو بعبارة أخرى مادة لها روح خامدة ، ولا تبعد طبيعتها كثيراً عن بعض الصيغ التي  
صاغها علماء الفيزياء المعاصرون عن المادة الصرفة من أمثال إدنجتون وجينز وغيرهما  
(أى أن لهذا النموذج كياناً لا يختلف في طبيعته عن الكيان المادى ) . ثم يضيف بكل  
وضوح أنه بهذا الارتباط « يجب أن يذكر القارىء بوجود ظواهر وراء روحية  
Parasychic Phenomena لا يقدر قيمتها الحقيقية إلا أولئك الذين أتاحت لهم فرصة  
الاقتناع بها عن ملاحظة شخصية . . . »<sup>(١)</sup> وهذه هى نفس الظواهر التي يطلق عليها  
أيضاً وصف « الظواهر غير المألوفة » .

واختبر يونج ظواهر غير مألوفة عديدة وحققها بنفسه واشترك معه في التحقيق  
أحياناً زميله أوجين بلولير Eugène Bleuler واستخلص من كل ذلك آراءه في

(١) راجع البحث بأكمله وعنوانه « الروح بحسب علم النفس » The Spirit of psychology

بقلم يونج في مجلد عنوانه « الروح والطبيعة » Spirit And Nature

وقد صدر في سنة ١٩٥٥ مترجماً من المجموعة الألمانية الآف الإشارة إليها ص ٣٧١ - ٤٤٤ وجوهه

يؤيد . حول هذا النموذج أو المثال الأصلي .

اللاشعور ، ورأيه في اعتبار المادة وجهاً نوعياً للروح ، وفي رفض كل تفسير مادي  
صرف أو روحي صرف للكائن الإنساني .

والإحساس بالسلام مع النفس هو عنده موضوع هذه الغريزة الدينية الفطرية .  
وهو ليس هدفاً سهلاً المتال ، لأن الإنسان حسبما يقول يونج يعيش أبدأ في الحرب ،  
فالذات الإنسانية عبارة عن قائد لجيش صغير يحارب ما يحيط به . وكثيراً ما يحارب  
في جبهتين عندما يحارب من أمام لأجل الوجود ، ويحارب من خلف ضد طبيعته  
الخاصة المتمردة الثائرة . وحتى إذا لم يكن الإنسان متشائماً ، فإن الوجود يبدو بمثابة  
معركة ، قبل أن يبدو بمثابة أى شيء آخر .

فحالة السلام حالة استثنائية ، وإذا حدث أن شخصاً ما أمكنه أن يقيم سلاماً مع  
العالم ومع نفسه ، فإنها تكون واقعة تستحق التسجيل . وإزاء هذه الحالة المزمنة من  
الحرب فنحن بحاجة لاتخاذ خطة منظمة بعناية . وإذا فرضنا أن شخصاً ما أمكنه أن  
يصل إلى سلام قابل للاستمرار فإن الحفاظ على هذا السلام ولو لفترة متواضعة يحتاج  
إلى درجة عالية من الإعداد المعنى به ، ومن الجهد المدروس .

## المبحث الثالث

### موقف يونج

#### من « القبس الإلهي » في الإنسان

بحسب كارل يونج يحمل كل إنسان في الأعماق الباطنة الخاصة جداً لروحه قبساً  
من الألوهية ، يوصله إلى معرفة ذاته ، وهذا هو بعينه القبس الإلهي في الإنسان الذي  
تحدث عنه كبار المتصوفين منذ القرون الوسطى من أمثال ايكارت Ekhart ،  
وجان تاولر Jean Towler ، وهنرى سيزو H. Suzot .

وهذا القبس الكائن في أعماق الروح لا يصل إليه صاحبه عن طريق التأمل الشخصي  
المتركز عند محاولة رؤية الذات في مرآتها الخاصة ، بل عن طريق حب القريب .  
فالإنسان يصل إلى ذاته عن طريق التجرد ، والتخلي عن كل مطلب أناني ، مع

«الإرادة الذاتية ، واللهفة على المعرفة . ولذا يجب أن تخلو إلى نفسك ، وتغرق في وجدانك ، وتسلم قلبك إلى الله تعالى .

وبهذا الأسلوب يصل الإنسان إلى أعماق نفسه ، إلى ذاته الخفية بداخله ، إلى باطنه السامى النبيل ، النابع عن الله ، المكون من جوهر روحى ونقى ومتجرد . فهناك تقع مملكة الله ، وهناك يقيم الله ويعمل . وعند متصوفى العصر الوسيط يظل هذا العمق المقدس للروح محض عمق روحى ، لا يتضمن إطار الخليقة الطبيعية ، بل بالعكس يتطلب من الإنسان أن يبدأ بالنأى عن المخلوقات .

أما عند يونج فهو يرى—بحسب اختباره الروحى الأساسى— أن هذا العمق المقدس للروح يمثل عنصراً من الطبيعة يعيش فى تناسق معها واندماج فيها . ولذا فهو لا ينصح بالاعتزال عن الآخرين ، أو بالنأى عن الطبيعة بكل ما فيها من بهاء وتناسق .

ويقول هذا العلامة الكبير فى كتابه عن « حياتى » إننا فحسب عندما يرتبط وجودنا باللانهاى بفضل النافذة المفتوحة على الأبدية (نافذة النفس المستورة ) يصبح لهذا الوجود مغزى « فإنى فقط إذا ما علمت أن اللانهاى ( أو غير المحدود ) هو الجوهر ، وإذا ما امتنعت عن الربط بين مصلحتى وبين التوافه ، والأمور الحالية من قيمة حاسمة . . . وإذا ما عرفنا وشعرنا أننا حتى فى هذه الحياة مرتبطون باللانهاى فإن رغباتنا وخططنا سيلحقها التغيير . فإننا فى النهاية لن نساوى شيئاً إلا بالجوهر الذى فىنا ، فإن لم نجد السبيل إليه ، فقد ضاعت حياتنا هباء » (١) .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الحكومة السويسرية — تقديراً منها لمكانة كارل يونج ، ورغبة فى دفع جهوده العلمية الضخمة فى مجال الباراسيكولوجى — قد أقامت معهداً خاصاً يحمل اسمه مند سنة ١٩٤٨ للعناية بمواصلة رسالته فى إطار هذه المناهج الجديدة المتطورة فى الكشف عن أغوار النفس الإنسانية ، بأسلوب ثورى تماماً ، على ذلك النحو الذى دعا إليه يونج ، ووهب له كل حياته العلمية . ومقر هذا المعهد هو مدينة زيورخ التى كانت مقراً لنشاطه العلمى ، كما كانت مقراً لنشاط زميله سيجموند فرويد من قبل .

(١) للمزيد عن يونج وعن فلسفته راجع :

مجموعة أعمال كارل يونج  
التي ترجمت الى الإنكليزية

- Volume 1 PSYCHIATRIC STUDIES  
Volume 2 EXPERIMENTAL RESEARCHES  
Volume 3 PSYCHOGENESIS OF MENTAL DISEASE  
Volume 4 FREUD AND PSYCHOANALYSIS  
Volume 5 SYMBOLS OF TRANSFORMATION  
Volume 6 PSYCHOLOGICAL TYPES  
Volume 7 TWO ESSAYS ON ANALYTICAL PSYCHOLOGY  
Volume 8 THE STRUCTURE AND DYNAMICS OF THE PSYCHE  
Volume 9 bound in two parts  
1. THE ARCHETYPES AND THE COLLECTIVE UNCONSCIOUS  
II AION  
Volume 10 CIVILIZATION IN TRANSITION  
Volume 11 PSYCHOLOGY AND RELIGION WEST AND EAST  
Volume 12 PSYCHOLOGY AND ALCHEMY  
Volume 13 ALCHEMICAL STUDIES  
Volume 14 MYSTERIUM CONIUNCTIONIS  
Volume 15 THE SPIRIT IN MAN, ART, AND LITERATURE  
Volume 16 THE PRACTICE OF PSYCHOTHERAPY  
Volume 17 THE DEVELOPMENT OF PERSONALITY  
Final Volume: MISCELLANEOUS WORKS, BIBLIOGRAPHY, AND GENERAL INDEX



Memories, Adventures, and Reflections (1963).

Modern Man in Search of a Soul (1966).

**مجموعة أعمال كارل يونج  
التي ترجمت الى الفرنسية**

- La théorie psychanalytique.* Traduction de M. Suhmud-Gussan. Éditions Montaigne. Paris. 1932. Épuisé.
- L'homme à la découverte de son âme.* Préface et adaptation du D<sup>r</sup> Roland Cahen. 1943. 7<sup>e</sup> édition 1973. Éditions du Mont-Blanc. Genève. Buchet/Chastel. 8<sup>e</sup> édition. petite biblio Payot. 1966. Paris.
- Aspects du drame contemporain.* Préface et traduction du D<sup>r</sup> Roland Cahen. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1948. 2<sup>e</sup> édition 1970
- Types psychologiques.* Préface et traduction d'Yves Le Lay. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1950. 2<sup>e</sup> édition 1958. 3<sup>e</sup> édition 1967
- Psychologie de l'inconscient.* Préface et traduction du D<sup>r</sup> Roland Cahen. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1953. 2<sup>e</sup> édition 1963
- La guérison psychologique.* Préface et adaptation du D<sup>r</sup> Roland Cahen. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1953. 2<sup>e</sup> édition 1970
- Métamorphoses de l'âme et ses symboles.* Préface et traduction d'Yves Le Lay. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1953. 2<sup>e</sup> édition 1967
- Introduction à l'essence de la mythologie (avec Ch. Kerényi)* Traduction d'Henri Del Medico. Payot. Paris. 1953
- L'énergétique psychique.* Préface et traduction d'Yves Le Lay. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1956
- Le frison divin (avec Ch. Kerényi et P. Radin)* Collection Analyse et Synthèse. Trad. S. Arthur Reiss. Librairie de l'Université. Genève. et Buchet/Chastel. Paris. 1958
- Psychologie et religion.* Traduction de M. Bernson et C. Cahen. Éditions Buchet/Chastel. Paris. 1960. 2<sup>e</sup> édition 1974
- Un mythe moderne.* Préface et adaptation du D<sup>r</sup> Roland Cahen. Éditions Gallimard. Paris. 1960. 2<sup>e</sup> édition 1971
- Problèmes de l'âme moderne.* Traduction d'Yves Le Lay. Éditions Buchet/Chastel. Paris. 1961. 2<sup>e</sup> édition 1967
- Présent et Avenir.* Préface, traduction et annotations du D<sup>r</sup> Roland Cahen avec la coll. de Heide et Françoise Bammann. Éditions Buchet/Chastel. Paris. 2<sup>e</sup> édition 1962. et Denoël. Paris. 1970
- Psychologie et éducation.* Traduction d'Yves Le Lay. Éditions Buchet/Chastel. Paris. 1961
- Réponse à Job.* Traduction du D<sup>r</sup> Roland Cahen avec une postface d'Henry Corbin. Éditions Buchet/Chastel. Paris. 1964
- La dialectique du moi et de l'inconscient.* Traduction et annotations du D<sup>r</sup> Roland Cahen. Éditions Gallimard. Paris. 1964. 2<sup>e</sup> édition 1967
- L'âme et la vie.* Textes essentiels de C. G. Jung présentés par Jolande Jacobi. Traduit par le D<sup>r</sup> Roland Cahen et Yves Le Lay. 1965. Buchet/Chastel. Paris. 2<sup>e</sup> édition 1969
- Ma vie.* Souvenirs, rêves et pensées, recueillis par Annela Jaffé. Trad. D<sup>r</sup> Roland Cahen et Yves Le Lay. Gallimard. 1966. 2<sup>e</sup> édition 1967
- Psychologie et alchimie.* Traduction Henry Perrot et D<sup>r</sup> Roland Cahen. Buchet/Chastel. Paris. 1970. 2<sup>e</sup> édition 1975
- Les racines de la conscience.* Étude sur l'archétype. Trad. Yves Le Lay. Éditions Buchet/Chastel. Paris. 1971. 2<sup>e</sup> édition 1973

**en préparation**

- Le secret de la Pierre d'or*  
*Mysterium coniunctionis.*  
*La psychologie du transfert*